ولن تكون الريح إلا عابرة: قراءة في ومضة (شامخة) لفيصل البصري

هيفاء حماد، سوريا

نص الومضة: شامخة

الشجرة المثمرة التي عصفت بها الريح. صرخت: أنا باقية وأنت سترحلين مهما فقدت من ثماري.

الريح تولد بسرعة وتموت بسرعة. قد تطول حياتها. ولكن مهما طالت لن تتجاوز الساعات أو الأيام. إذاً هي عابرة في الحياة ككثيرين غيرها. وأولهم أولئك الأشخاص دعاة الحروب والغزاة ذاتهم. ولن أسميهم مستعمرين أو محتلين ولا مغتصبين، لأنهم في النهاية هم عابرون وعابرون فقط، ولن يكونوا إلا عابرين.

يبدأ الراوي نصه بعبارة الشجرة المثمرة. إذاً هي شجرة بعينها معروفة ومعرَّفة عنده. والشجرة المثمرة هي دليل الخير والعطاء. ولكن ما بها تلك الشجرة؟ يتابع الراوي نصه (التي عصفت بها الريح) وهي جملة صلة الموصول

إلا أنها تضيف لنا وصفاً آخر لتلك الشجرة. وجميعنا يدرك ما معنى أن تعصف الريح بشجرة مثمرة. وكم من الثمار والأوراق التي ستتساقط على الأرض. منها ما هو ناضج، ومنها ما يزال في مرحلة النضج. منها الثمار الكبيرة ومنها الصغيرة. منها السليمة ومنها غير السليمة إن صح التعبير. وكذلك جميعنا يدرك كم تختلف الثمار على الشجرة الواحدة بتدرج ألوانها وطعمها وحجمها.

وبالانتقال إلى الجملة الثالثة في النص (صرخت) نرى تشبيها واضحاً بين الشجرة والإنسان. فالإنسان وحده الكائن الذي يملك فعل الصراخ. وهنا يتبين لنا أن الراوي أراد أن يشير إلى شيء ما بتلك الشجرة.

فلماذا صرخت تلك الشجرة؟ (أنا باقية وأنت سترحلين)، إذاً صراخها موجه للريح، فهي تصرخ بوجه الريح التي عصفت بها غير آبهة بعصفها. واثقة أنها هي صاحبة الأرض، هي صاحبة الجذور، هي من نشأت وترعرعت في نفس المكان، في نفس التراب الذي هو مسقط

جذورها وشموخ رأسها. فهي صاحبة حق، هي باقية وتلك الريح عابرة، ستنتهي. ستموت. سترحل مهما طالت مدة إقامتها. فكما نشأت ستموت.

ولكن أي ميتة تموتها الريح! الريح تموت ميتة الغرباء. ميتة العابرين. لن تعود إلى مسقط رأسها. فهي مجرد كتلة هوائية جمعتها الصدفة وبعض العوامل الجوية والمناخية حتى قويت وقوي عصفها وصفيرها فعبرت، فليس لها مسقط رأس.

وتتابع الشجرة صراخها (مهما فقدت من ثماري)، مؤكدة للريح أنه مهما تساقط من ثمارها على الأرض، سواء نتيجة نضوجه أو صغره أو عدم ثباته على فرعه، وكل ذلك نتيجة تأثره بفعل الريح وعصفها. فهي باقية باقية ولن ترحل.

وهنا أرى أن الومضة إسقاط لما يحدث في عالمنا العربي. فالشجرة تمثل أوطاننا العربية وربما وطن الراوي بالذات. وما الريح إلا تلك الهجمات والقوى الإرهابية التي تعصف ببلادنا يوماً بعد يوم، وبلداً بعد بلد، والتي لن تكون

نهايتها بإذن واحد أحد إلا الموت أو الرحيل. ولأوطاننا البقاء بإذنه تعالى.

بالنسبة لشخصيات النص هناك شخصيتان: شخصية الشجرة المثمرة التي صرخت، وشخصية الريح التي عصفت.

أما أسلوب السرد فهو من منظور خارجي.

بالنسبة للمدى الزمني: فالومضة تركز على لحظة زمنية واحدة سريعة وهي صراخ الشجرة وما تلفظته بذاك الصراخ.

obeikandl.com